2022

بسم الله الرحمن الرحيم

أرض الله واسعة

و الله تعالى يواجه خمكه

إعداد / أبو الحسن الحناوى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين!

أمّا بعد أيها الأخ الكريم والأخت الكريمة ..

نلتقي معاً من خلال هذا الموضوع على فكرة أساسية لابد للكثير منَّا معرفتها والتشبث بها وهي في الحقيقة أصل لما ورد في الكتاب العزيز والسُّنَة النبوية المطهرة .. وهي تدور حول تعريف وطن المسلم وإنتمائه.

فحينما نقرأ من سورة النساء: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾ .. قال الإمام القرطبي:" أي ألم تكونوا مُتمكنين قادرين على الهجرة والتباعد ممن كان يستضعفكم !" .. وفي هذه الآية

« دليلٌ على هُجران الأرض التي يُعملُ فيها بالمعاصي».

ورُويَ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من فرَّ بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبراً استوجب الجنَّة وكان رفيقَ إبراهيم ومحمد عليهما السلام.» وفيه دلالةٌ أيضاً على عدم مُجاراة الملاحدة والعلمانيين والمنافقين وعدم إنغماس المؤمنين معهم في ضلالهم لئلا يَفتِنوهم في دينهم.

بل نجد تكملة المعني فيما بعدها من آيات: ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾ .. قوله تعالى : وسعة أي في الرزق ؛ قاله ابن عباس والربيع والضحاك . وقال قتادة : المعنى سعة من الضَّلالة إلى الهُدى ومن العَيْلة إلى الغنى!

" إذن على المرء الفِرار بدينه إن ضُيّقَ عليه في أرضه أو إستضعف."

مفهوم الوطن وراية المسلم

في قيظِ زمانِ الحروبِ والاضطهاداتِ والظلمِ الواقعِ على بلادِ المسلمين، وفي زمنِ تَعَاظَم فيه عددُ المهاجرينَ والهاربينَ من بلادهم ، والفارين من أنظمة الظلم والفساد ، مُخلّفين وراءهم ديار آوتهم لسنينَ ، وذكرياتٍ دفنوها في خبايا الذاكرة وثناياها ، وماضٍ أوصدوا البابَ عليه بإحكامٍ ، ليبدأوا حياةً جديدةً في بقعةٍ أخرى من بقاعِ أرضِ اللهِ الواسعة .. نتساءل ما هو مفهوم الوطن الذي ينتمي إليه المسلم ويجب أن يُضحي في سبيله؟

- أهو مسقطُ رأسِه الذي ترعرعَ فيه؟
- أم عائلتُه وعشيرتُه التي يشترك معها بقرابةِ الدَّم ؟
- هل هو المكان الذي يكون فيه منتجاً ؟

تلك وغيرها من الأسئلة التى تدور في فلك عقل المسلم لتستجوبه عن انتمائه الحقيقي في هذه الدنيا والإجابة عنها في كلماتٌ وجيزةٌ وبليغةٌ :

" وطنُ المسلمِ الذي يَحّنُ إليه ويُدافعُ عنه ليس قطعة أرض[1]

---

[1] وطن المسلم هو كل مكان يستطيع أقامة شعائر دينه ويأمن على نفسه وأهله فيه

وجنسية المسلم التي يُعرفُ بها ليست جنسية حُكم [2]

وعشيرة المسلم التي يأوي إليها ويُدافعُ عنها ليست قَرَابة دم [3]

ورايةُ المسلم التي يعتز بها ويَستشِهد تحتها ليست راية قوم [4]

وانتصار المسلم الذي يهفو إليه ويشكرُ اللهَ عليه ليس غلبة جيش [5]

تعريف الوطن ورايته

وتتعدد الأمثالُ على ذلك في القرآن الكريم في ..

- وشيجة الأبُّوة في قصة نوح
- ووشيجة البنُّوة والوطن في قصة ابراهيم
- ووشيجة الأهل والعشيرة والوطن جميعا في قصة أصحاب الكهف وأغلب رسل الله وأولهم سيدنا محمد صلوات ربي وسلامه عليهم
- ورابطة الزوجية في قصص امرأتي نوح ولوط وامرأة فرعون

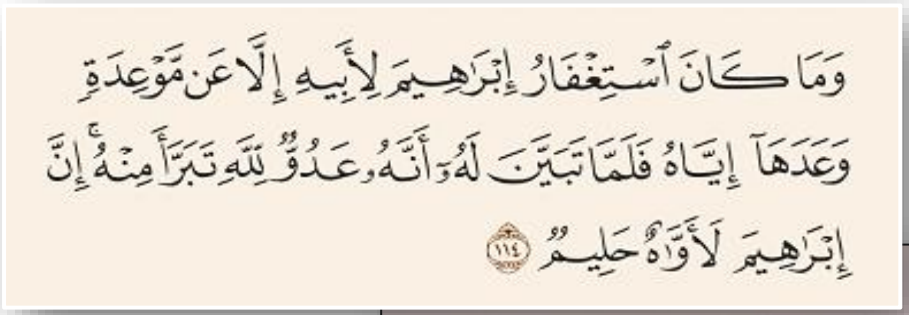
وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ
وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ
إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾

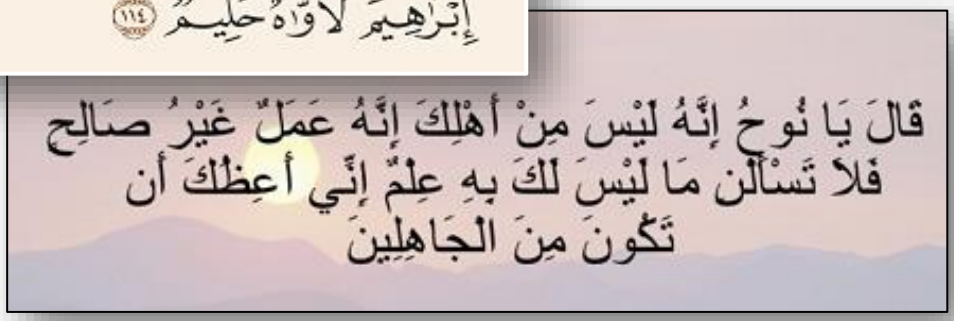
قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ
فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن
تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ

---

2 جنسية المسلم هي الجنسية الإسلامية ، أى الآدمية المخلوقة لله وحده وتدين بتوحيده
3 عشيرة المسلم هم إخوانه في الإسلام ـ وأنصار الله ورسوله
4 راية المسلم هي راية التوحيد ـ راية لا اله الا الله
5 نصرة دين الله وانتصار المسلم على شهوات نفسه وهواها ونهيها عن غيّها

الولاء لله عزوجل

- ✓ إنه النَّصر تحت راية العقيدة دون سائر الرايات
- ✓ والجهاد لنصرة دين الله وشريعته لا لأي هدف من الأهداف
- ✓ والذّيادُ عن " دار الإسلام " بشروطها تلك لا أية دار.
- ✓ والتجرد بعد هذا كله لله ، لا لمغنم ولا لسمعة ولا حميّة لأرض أو قوم أو ذوْدٍ عن أهلٍ أو ولدٍ إلا لحمايتهم من الفتنة عن دين الله" [6]

❖ والإسلامُ وإن كان لا يمنعُ حبَّ الشخص لوطنه ، لكنه يُوجبُ ملاحظة أمور لابد أن تكون في حسبان المسلم وأن يلاحظها بدقة ..

- ➢ فلا يوالي ويعادي من أجل الوطن بل يجعل الولاء أولا لله تعالى ، فلا يقدم محبة الوطن أو أهل الوطن على محبة الله تعالى ومحبة ما يحبه ﷻ
- ➢ كذلك يجب أن لا يكون حبّ الوطن ناشئاً عن عصبية جاهلية بل مراعاة الأخوة الإسلامية قبل أخوة الوطن .

وكلُّ محبةٍ في اللهِ تبقى ... على الحالينِ من فرجٍ وضيقِ
وكلُّ محبةٍ فيما عـداهُ ... فكالحـلفاء في لهب الحـريقِ

الوطنية من دعوات جاهلية

ومما لا شك فيه أن المسلمين ما ضعفوا وما استكانوا إلا يوم قدموا الوطنية وافتخر كل أهل وطن بوطنهم ، بعد أن مزقهم أعداؤهم الى دويلات ، ولم يهتم بعضهم بالبعض الآخر، فكان الجميع لقمة سائغة لأعدائهم فانفردوا بإذلال أهل كل وطن كما هو الوضع الآن.

---

6 انتهي كلام صاحب الظلال

وانتشرت مع الأسف دعوات جاهلية صار يرددها الكبير والصغير والمرأة والرجل وهو شعار التضحية في سبيل الوطن أو بذل الدم من أجل تراب الوطن ونحو ذلك من الكلمات التي أثمرت التخاذل حتى عن الدفاعِ الواجبِ عن أوطانِ المسلمينَ وأعراضِهم ، ونُصرةِ المظلومينَ وإرجاعِ الحق لأهله ، بعد أن ماتت هِمَمهم وغيرتَهم وتوزعتهم الأهواءُ وأثخنتْ فيهم الدعايات الجاهلية.

تقديس الأوطان

إن دُعاة الوطنية لم يقفوا بها عند حد فقد قدَّسوا الوطنية إلى حد العبادة من دون الله تعالى وأحلّوها محل الدين ، وصاروا لا يدعون إلا إلى تقديسها ونسيان كل أوطان المسلمين الأخرى، فنشأ عن تلك الدعوات الفخر والخيلاء والاستكبار بغير الحق والتعالي والغطرسة الكاذبة حتى في الانتصار على الأعداء ، فقد صاروا يعتقدون بأن الوطن سيمنحهم الشجاعة والنصر والعيش الكريم وأن وطن كل طائفة سيصبح مقبرة للغزاة والطامعين ولكنها "جعجعة جوفاء" فضحتها الوقائع والأحداث القائمة ، فقد نسوا أن النَّصر من عند الله سبحانه تعالى.

لقد صار حُبّ الوطن هو كل شيء في حياة الإنسان إلى حد أن الأوطان أصبحت وكأنها أوثان تعبد من دون الله تعالى وكل صاحب وطن يدعي أن وطنه هو أفضل الأوطان.

وقد بلغ من تقديسِ الأوطانِ عند دُعاةِ الوطنية الجاهلية الى الكفر فقالوا:

بلادك قدسها على كلّ ملّة ومن أجلها أفطر ومن أجلها صُم

سلامٌ على كفرٍ يُوحد بيننا وأهلاً وسهلاً بعده بجهنمِ

تعريفات للوطن

ومعلوم أن هذه المبالغة لا يقرُّها الإسلامُ الذي ..

- ✓ يدعو أتباعه إلى أن ينصهروا كلهم في بوتقة الإسلام
- ✓ ويدعو أتباعه لأن يكونوا في هذه الأرض كأنهم جسم واحد وفي وطن واحد
- ✓ ويوجب على كل مسلم أن يدافع عن كل شبر من أوطان المسلمين وأن يغار عليها حتى لو أدى ذلك إلى قتله فإنه يكون شهيدا مقاتلا في سبيل الله تعالى فإن من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم

وقد ذكر بعض العقلاء أنه من ضيق الأفق تقوقع الإنسان في مكان واحد وصبره فيه على كل ما يصيبه من أنواع المكاره حُباً لذلك المكان.

وطن المسلم هو المكان الذي يتهيأ له فيه عبادة الله تعالى ويقوم بدينه ويصون نفسه وعقيدته من الانحراف آمنا مطمئنا على نفسه ودينه وعرضه.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه فيما ينسب إليه :

إني رأيتُ وقوفَ الماءِ يُفسدُهُ إنْ يجرِ طابَ وإنْ لم يجرْ لم يَطِب

وقال الشيخ على الطنطاوى رحمه الله:

إنَّ وطنَ المسلمِ دينُه .. فحيثما صاحَ المؤذنُ " اللهُ أكبرُ" فثمةَ وطنه.

المؤمن عزيز لا يُستضعف

قال تعالي: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۚ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا * إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾. صدق الله العظيم .

❖ إذاً أنت ظالم لنفسك لأنك مُعذَّبٌ وتعيسٌ وتعيش كجثةٍ متحركةٍ ..

ـ فلا أنت تصلح نفسك وتتحمل مسؤولية حياتك وتعيش في أرضك الموروثة كإنسان صالح ناجح وسعيد

ـ ولا أنت خرجت منها لتتحمل مسؤولية حياتك وتسعى نحو السعادة والنجاح والحب والسلام لتنشر تلك القيم الجميلة ولتبدع ولتعمر الأرض بالخير والنور .. أي لتجعل الناس يرون النور والله فيك لا الشيطان والظلام كما هو القطيع من حولك يعيشون !

❖ وهنا نتوصل للمفهوم الذي يُخبرنا أن المكان الذي لا تستطيع فيه الحفاظ على عقيدتك ودينك ، وستعيش مضطهداً مظلوماً فيه ، فلتهجُره بحثاً عن مكان آمن تواصل فيه العمل على أداء رسالتك في الحياة.

لذلك نرى أن الرسول وصحابته بعد الهجرة استقرّوا في دار الهجرة التي استقبلتهم (المدينة)، ولم يكن هدفهم بعد التّمكين في الأرض والنّصر الرجوع إلى مسقط رأسهم ليعاودوا العيش فيه ، بل على النّقيض ، فبعد النّصر المؤزر بفتح مكة ، آبَ الرسول إلى المدينة ، وواصلَ دعوته فيها إلى أن انتقل عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى بعد أن أدّى الأمانة الموكلة إليه.

أوطان المسلمين وطن واحد

وهنا يجبُ التّفريقُ بين وطن الإقامة وهُوية الدين ، فإن المسلم له أنْ يتمسك بداره ووطنه الذي يُقيم فيه ، لكن يجب عليه أن يُدركَ كذلك أنَّ أوطان المسلمين كلها له ، بحكم إسلامها وإسلام أهلها ، وذلك لأمرين : الأول : أن الولاء في الإسلام للدين قبل الوطن ، والجنسية الإسلامية أعلى وأوثق من الانتماء إلى الوطن ، ويكون التّناصر والتّعاطف على هذا الأساس لأنه من لوازم الإيمان، يُحب المؤمنين أينما كانوا، ويتحزّبُ إليهم وإن نأتْ عنه ديارُهم ، ويتضامنُ معهم كالجسد الواحد، لقوله ﷺ:

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ* وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾.

فالدِّين وحفظه أعلى في مراتب الضروريات على النفس والوطن وصلاح الحياة والدنيا والوطن لا يستقيم إلا بإقامة الدين ، لهذا ارتبطت هُوية الإنسان المسلم على وجهٍ خاصٍ بالدّين أولاً قبل وطنه.

الأمر الثاني : أن أوطان المسلمين وطن واحد ، وديارهم جميعاً دارُ الإسلام ما أقيمت فيها الشريعة الإسلامية ، فيجب الولاء والنصرة لها ، والدفاع عنها على حد سواء !!

لذا يقول أحد الدعاة .. المسلم الذى ترك وطنه ويقيم بخارجه بسبب الملاحقة الأمنية له والتضييق عليه ، لا يعيش في غُربة وهو ليس غريباً ولكنَّه مُهاجرٌ يعيشُ في دارِ هجرة ، وله أجرين .. الأول لرفضه الذّل والإضطهاد وفراره بدينه والثاني لصبره ومعاناته بأرض مهجره.

❖ فدينُ الإسلام يكسبه هوية وجنسية تغنيه ..

- عن أرض قد يُطرد منها يوماً ما
- أو قبيلة قد تتبرأ منه
- أو حكم قد يظلمه ويطغى عليه

" فعقيدة المؤمن هي وطنه ، وقومه ، وأهله.. ومن ثم يتجمع البشر عليها وحدها لا على أمثال ما تتجمع عليه البهائم (من كلأ ومرعى وقطيع وسياج) " [7]

فالانتماء الحقيقي يكون لشيء ثابت لا يتغير، وانتماء المسلم يكون لخالقه أولاً ، ومن ثم لدينه

---

[7] مقولة صاحب الظلال

هنا نلحظ ذلك من مقولةِ الفقهاء الشهيرة :

- " إذا استولى الكفار على بقعة من دار الإسلام صار الجهادُ فرضُ عينٍ على جميع أفراد النّاحية التي استولى عليها الكفار ..
فإذا لم يستطع أهل الناحية دفع العدو عن دار الإسلام ، صارَ الجهادُ فرضُ عينٍ على من يليهم من أهل النواحي الأخرى من دار الإسلام ..
وهكذا حتى يكون الجهاد فرض عين على جميع المسلمين ..
ولا يجوز تمكين غير المسلمين من دار الإسلام."

وهذا الجهاد يكون بكلِّ مُتاحٍ ، المال والنفس والقلم (الصحافة والإعلام) والتنديد ، وبالهاشتاغات ، حسب ما يُناسب الوقت ، وينطبق هذا تماماً على كل الأراضي المستباحة المحتلة في البلدان الإسلامية ، فكلها أرض الإسلام ووطن المسلمين فلا نفرق على خلفية القومية أو الوطنية أو الحزبية فالمسلمون وولاؤهم لدينهم أولا قبل الوطن.

فماذا عنا نحن الذين خرجنا من بلدنا الأم لظلم لاقيناه ، وجوروقف حائلاً بيننا وبين أداء دورنا كخلفاء الله في الأرض؟
ما هو مفهوم الوطن بالنسبة إلينا نحن المسلمين؟
هل ما زال الدار التي نشأنا وترعرعنا فيها؟
أم أنه أمر أعمق من هذا بكثير؟

قصيدة شعرية

أقدم لكم قصيدة شعرية موضوعها وفكرتها وكأن أبياتها نُسجت لتُلَّخصَ ما جاء في هذا الملف الذى بين يديكم عن جواز الهجرة حال إنعدام الحياة الكريمة وخشية المرء على دينه وأهله وحين يعم الطغيان البلاد ويهدد حياة وأمن وعقيدة العباد.

ودّعْ هريرةَ [8] نِصفُ الشعبِ مُعـتَقَلُ .. عجِّلْ فإنّكَ مقتولٌ إذا وصلوا
حتّى هريرةُ ، قالوا إنَّها اعتُـقِلَتْ .. فانفُذ بجلدكَ واهربْ أيّها الرجلُ
في كلِّ مَيْتٍ قضى في سجنِ طاغيَةٍ .. أُمٌّ تموتُ ، وأهـلٌ بعدَهُ ثكِلوا
فإن بَقِيتَ ، وفي كفّيـكَ [9] مُرتَحَلٌ .. فأنتَ راضٍ بما قـالوا وما فعلوا
قَوْلُ الحقـيقَةِ مُـرٌّ، مؤلمٌ ، خَـطِرٌ .. لكنَّ قـائلَها في عصـرنا بطـلُ
بالشعـرِ والنثرِ أوطانٌ نُغـيّرُها .. إذا أردنا ، ولكـنْ جُـلُّنا وَجِلُ [10]
الحـرفُ نارٌ وعرشُ الظُـلمِ من ورَقٍ .. لذاكَ تـفزعُ من أقلامِنا دولُ
أرضٌ تُجـرِّمُ آرائي سـأهـجُرُها .. وسـارقـيها بأقـدامي سـأنتَعلُ
دربُ الكُسالى نعيمٌ في مسـالكهِ .. أمّا الطُموحُ فتدمى دونَهُ المُـقَلُ [11]
ماتتْ هريرةُ ، بَـلَّ اللهُ تُـربتَـها .. بوابـلٍ من قصـيدٍ ، كلّه غـزلُ
لم تلحقِ الركبَ، لمَّا أهلُها ارتحلوا .. فماتَ منها (على إيمانها) الأمَلُ
وحاولَ النيلَ منها بعدما اعتُقِلَتْ .. جُندُ الظلامِ ، فماتتْ وهْيَ تبتَهلُ
كانتْ وصيّتـها مكـتوبَةً سَلَـفًا .. ألّا يمـوتَ ذليـلًا بينَكم رجـلُ [12]
العـالَمُ الآنَ يسعى كي يُفرّقَـنا .. ويستَعـينُ بمنْ منَّا لهُ امتَثَلوا [13]
وسيمُ ، عدنانُ ، أو شحرور .. كلّهُمُ شخصٌ، وتُملي لهم بُهتانَهُم دوَلُ
وقائلٍ : هل ترى في البُعدِ مكرُمةً .. وأنتَ بينَ المنافي العُمرَ تنـتَقلُ؟
المجدُ للبُـعدِ والمنـفى إذا وطني .. ينهى ويأمـرُ في أرجائهِ هُـبَلُ [14]
لا يَجرَحُ الحرَّ سَبٌّ من رويبـضةٍ .. فلا يضـيقُ بكلبٍ نابحٍ .. جَـمَلُ
والعبدُ مهما زَهتْ في الناسِ صورَتُهُ .. خاوٍ مُخِلٌّ خَمولٌ خَلْخَلٌ خَمِلُ
ودّع بـلادَك لا عـزَّتْ ولا بَقِيَتْ .. إذا جبيـنُكَ فـيها مُطـرِقٌ وَجِلُ

---

8 رمز لفتاة اعتقلت وقضت نحبها بالمعتقل
9 أى بإمكانك الرحيل
10 معظمنا خائف مشفق من عاقبة قوله الحق للطغاة الظلمة
11 العيون
12 كناية عن وجوب عيش المرء حراً كريماً وتحقيق ذلك بكل استطاعته والا ارتحل
13 كناية عن الخونة من بني جلدتنا ومن ينتسبون إلينا من المنافقين والطابور الخامس
14 كناية عن االحكام والقادة التي تعبد من دون الله

أحمَدُ اللهَ على جميل توفيقه وعظيم إحسانه ..
واشكره على واسع كرمه وجزيل نعمه وكمال رضوانه ..
وارجوا أن يكون هذا الموضوع الشائك قد حاز اهتمام حضراتكم ..
وبكل ممنونية .. ارحب بتلقي مشاركاتكم ومقترحاتكم !!

أخوكم في الله /
ابوالحسن الحناوى
فيينا في 10 يناير 2022